محاضرة: النقد الثقافي.

يعرف آرثر أيزا برجر النقد الثقافي باعتباره" نشاطا وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته" فهو ممارسة غير مستقلة بذاتها، مائعة. في حين يرى عبد الله الغذامي النقد الثقافي فرعا من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي.

النقد الثقافي ممارسة نقدية تعتمد في دراسة النصوص والخطابات على الأدوات النقدية التقليدية، تربط

النصوص والخطابات بجميع أشكالها الرسمية والشعبية بسياقها الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، تتجاوز اهتمام النقد الأدبي المؤسساتي الذي بقي رهين النص البلاغي/الجمالي، لاهتمامه فقط بالألفاظ وطريقة التعبير بها، تلك الطريقة المتوارثة والمحكومة بمجموعة من المعايير التي من خلالها تتم قراءة النص بمدى موافقته لها يتم الحكم عليه، ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية، ومجازات شكلية موحية، بل أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية.

إن الظهور الفعلي للنقد الثقافي لم يتحقق إلا في ثمانينيات القرن العشرين وذلك في الولات المتحدة الأمريكية بإصدار مجلة النقد الثقافي عام 1985 في جامعة مينيسوتا، وفي محاولة تحديد هدف النقد الثقافي ذكر محررا المجلة أن" الهدف من وراء النقد الثقافي يمكن التعبير عنه بأقصى قدر من الشمولية على أنه دراسة القيم والمؤسسات والممارسات والخطابات الموروثة في إطار أصولها وتكوينها وآثارها السياسية والاجتماعية والجمالية.

في ذات الفترة اهتم الناقد الأمريكي فنسنت ليتش بالنقد الثقافي خاصة في مؤلفه النقد والطابو: النقد الأدبي والقيم الصادر عام 1987 وفي عام 1992 أصدر مؤلفه النقد الثقافي: نظرية الأدب لما بعد الحداثة مسميا مشروعه بالنقد الثقافي المرادف لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب، وهذا ليس تغيرا في مادة البحث فحسب، لكنه أيضا تغير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي.

ويقوم النقد الثقافي عند ليتش على ثلاثة خصائص:

أـ لا يؤطر النقد الثقافي عمله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطابا أو ظاهرة، حيث يتجاوز النقد الثقافي العناية المؤسساتية بالنص النخبوي، ويتناول بالدراسة النصوص والخطابات بمختلف أشكالها، النخبوية والشعبوية كالنكتة الشعبية، الأغنية الشعبية، المسلسلات التلفزية...، على حد سواء.

ب ـ من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية، من مثل تأويل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي، والتحليل المؤسساتي.

ج ـ إن الذي يميز النقد الثقافي الما بعد بنيوي هو تركيزه على أنظمة الخطاب وأنظمة الافصاح النصوصي، كما هي لدى رولان بارث وجاك دريدا وميشيل فوكو، بخاصة في مقولة دريدا أن لا شيء خارج النص، وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي الما بعد بنيوي، معها مفاتيح التشريح النصوصي كما هي عند بارث، وحفريات فوكو.

ـ مفهوم النسق الثقافي:

اعتبر أحمد يوسف عبد الفتاح الأنساق الثقافية بمثابة" قوانين/ تشريعات أرضية من صنع الإنسان ـ في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله تعالى في الأديان ـ وضعها الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة، وهي تعبر عن تصور الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة.. والأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة". ويعتبر الأنثروبولوجي كليفورد غيرتس النسق آلية من آليات الهيمنة والتحكم في السلوكيات العامة والممارسات الاجتماعية والعمليات النفسية. تمثل الأنساق الثقافية أنظمة معرفية كبرى توجه التفكير وبالتالي التعبير، حيث كل نسق هو رؤية للعالم، أي مجموعة مترابطة من أبنية المقولات، التي تحكم الوعي الجماعي للمجموعات القارئة المستقبلة للنص، والوعي الجماعي للمجموعات المنتجة له، والتي تتحكم في قدراتهم القرائية أو الإنتاجية وتوجهها، ومن ثم فالأنساق الثقافية تمارس فاعليتها التوجهية التأثيرية على الوعي الجماعي المتعلق بإنتاج واستقبال النص.